سلسلة كيف نحمي الدين و الوطن

العودة إل كلمات منوعة

رحمة للعالمين

لا ريب أن لشهر ربيع في نفوسنا دلالة لا ترقى إليها دلالة أخرى ذلك لأنه ربيع القلوب والعقول وربيع الحياة ... ففيه كان مولد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، والذي ينبغي أن ندركه أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولد في ربيع والتحق بربه في شهر ربيع، لذلك يقول الإمام السيوطي رحمه الله: ما الفرح في هذا اليوم ليس بأولى من الحزن فيه لكن النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: **(حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)** فهو صلوات الله عليه رحمة؛ رحمة بولادته ورحمة بوفاته ورحمة بمنهجه ورحمة بسلوكه فهو **صلى الله عليه وسلم** هداية الخلق إلى الحق؛ والمسلمون اليوم يحتفلون بمولد سيد الكائنات سيدنا محمد **صلى الله عليه وسلم** نظراً لما يجسده من رسالة سماوية ترقى بالإنسان وتحافظ عليه .... عصر جديد أراد الله أن تكون بدايته حادثة الفيل والتي هُزم فيها التفكير الهمجي أمام القدرة المعجزة ليظهر جلياً أن البيت العتيق لا بد أن يبقى ليكون مثابة للناس وأمناً، ولتنطلق منه مسيرة التجديد للتاريخ الإنساني وليتم منه إعادة البشرية إلى الجادة .... إنه البيت الذي سوف تتجه إليه عيون العالمين وتهوي إليه أفئدتهم .. لقد حفظ الله بيته وبقي أن يأتي الرسول الذي يضع المفتاح في أقفال العقول والقلوب لتستعد لاستقبال كلمة الله الأخيرة إلى الناس .. فكان ميلاد الحبيب محمد إيذاناً ببداية هذا العصر الذي طال انتظاره وتعددت إرهاصات ظهوره.

إن ميلاد الحبيب محمد **صلى الله عليه وسلم** هو بداية انتصار العدل على الظلم والنور على الظلمات وهو بداية لظهور الحق على الباطل والذي تم بنزول قوله تعالى: **"وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً"** فمنذ تلك اللحظة والحق في ظهور والباطل في زهوق فمهما حدث بعد ظهور رسالته للناس كافة فإن الحق والعدل والنور سوف يعودوا للظهور ، فلتذهب البشرية حيث شاءت فلا شيء يوقف مسيرتها ما دامت محافظة على الحق والعدل والنور الذي انزلهم الله على محمد **صلى الله عليه وسلم** ، وهذا الطريق المستقيم فيه ما فيه من السعة والمرونة والقابلية للتجدد والقدرة على استيعاب المتغيرات .

مرحبًا بالحبيب ... الذي إذا تحدثنا عنه تزاحمت الذكريات، وتسابقت المشاهد والمقالات .. صلى الله على ذاك القدوة ما أحلاه، وسلّم الله ذاك الوجه ما أبهاه، وبارك الله على ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه، علَّم الأمة الصّدق وكانت في صحراء الكذب هائمة، وأرشدها إلى الحق وكانت في ظلمات الباطل عائمة، وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزور قائمة.

للأمم رموز يخطئون ويصيبون، ويسدّدون ويغلطون، لكن رسولنا **صلى الله عليه وسلم** معصوم من الزلل، محفوظ من الخلل، سليم من العلل، عُصم قلبه من الزيغ والهوى، فما ضل أبدًا وما غوى: {**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**}.

ويقف المسلم مع هذه الذكرى النورانية حائراً، في كيفية الاحتفال بها؟، وكيف يجعل من مجتمعه ساحة للاحتفال الإيماني بالنبي الهادي.. فهناك العديد من المعاني الإيمانية التي تحييها هذه الذكرى العطرة؛ أهمها :

* سؤال النفس عما قدمته في السنة الماضية؟ وماذا فعلت من أجل رضا الله ورسوله؟

* كي يعرف العالم من هو رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ؟ (بذل الوسع في تعريف صفاته بكل لغات العالم، وباستخدام كل الوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية) وماذا يعني ميلاده من فضل ورحمة للبشرية جمعاء؟ .

* ولا يمكن أن يكون الاحتفال بكلمات تُلهب المشاعر دون عمل حقيقي لجمع المسلمين على قلب رجل واحد .

* ومن المهم أن يكون الاحتفال بالمولد النبوي فرصة لجمع الأهل، وتقريب صلة الرحم، وتوسيع المودة بين الأقارب والأصدقاء والجيران؛ في زمن غابت فيه المودة بين الناس.

* كما يثري الاحتفال بالمولد حياتنا الاجتماعية عندما نتذكر الرسول الإنسان، وهو يعمل بإخلاص، ويستثمر كل لحظة في الخير.

* فلنذكر الناس بحقائق السيرة النبوية وحقائق الرسالة المحمدية، فعندما نحتفل بمولد الرسول **صلى الله عليه وسلم** فإننا نحتفل بمولد الرسالة، فإننا نُذكِّر الناس برسالة رسول الله وبسيرة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** .

* لا بد أن يعبر الاحتفال بالمولد عن محبة الرسول **صلى الله عليه وسلم** .

يقول تعالى: {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} (آل عمران: 31).

وعليه فلابد أن نفرق بين الحب والإتباع، حيث لم يقل "فأحبوني"؛ وكأن الإتباع الحقيقي للرسول **صلى الله عليه وسلم** هو ثمرة للحب، وكلما ازداد هذا الحب عمقاً، وازداد شعاعه تألقاً؛ اقترب المسلم من مرضات الله، وأصبح أهلا لرحماته .

ويقول الله عز وجل : {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**} (الأنبياء - 107) .

وهي رحمة تشمل كل المخلوقات، الإنس والجن والجماد، فكان صلوات الله عليه حين ولد وبعث رحمة للإنسانية، لأنه أعاد لها إنسانيتها وإحساسها بذاتها وكرامتها ، إذاً الرحمة واللين كانا سبيله **صلى الله عليه وسلم** لإصلاح الأمة.

لا تلومونا على حب النبي.. فرفعة منزلته لم تقلل من تواضعه وبساطته، وقف أمامه ذات مرة أحد الأعراب، فاستشعر عظمته ووقاره وتواضعه، فارتجف واضطرب هيبة من الرسول الكريم **صلى الله عليه وسلم** ، فهدّأ من روعه قائلا له: **هوّن عليك، فما أنا بملك ولا سلطان، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد!**

لا تلومونا على حب النبي.. بعدما أخرجه قومه ودفعوا به إلى الصحراء وحرموه البلد والأهل والأحبة وذكريات صبي يتيم، نظر إلى رمالها وشعابها وبنيانها وهو يودعها وداع مظلوم ومبتلى، نظرة حزن وحيرة، نظرة المواطن الذي حرم وطنه ظلماً وعدواناً قائلاً: **إنك أحب أرض الله إليّ! ولولا قومك أخرجوني لما خرجت**. وبعد سنين من الإبعاد والنفي واللجوء والمكائد والحروب عاد مظفراً ليقول لهم: **ماذا تروني أني فاعلٌ بكم.. لا تثريب عليكم اليوم.. اذهبوا فأنتم الطلقاء!.**

لا تلومونا على حب النبي.. كان نبياً في وحيه، رسولاً في تبليغ رسالته، وإنساناً في بيته ومع زوجه وأحفاده ، كان يجعل ظهره مطية للحسن والحسين حتى في أثناء الصلاة، فأطال على الناس ذات مرة السجود، فظنوا به الظنون، فلما فرغ سألوه عن سبب إطالته، فقال: **إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله** ...... ويسابق زوجه، فتسبقه مرة ويسبقها مرة؛ فيقول لها مداعبا: **هذه بتلك.**

ويبقى حب أمة لنبيها ملاذاً حين العواصف، ودافعاً حين الشدائد، ومغيثاً حين الهزائم، وأملاً حين اليأس والإحباط، وتواضعاً حين الانتصار. ويبقى محمد **صلى الله عليه وسلم** .... فلا تلومونا على حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ونحن نعيش زماناً كثرت فيه إشارات التعدي على الإسلام ورسوله وتشريعاته ومقدسات أمته، التي غدت من أكثر الأمم شتاتاً على كثرة أسباب توحدها لو تيقظ أبناؤها، وتمسكوا بحقيقة دينهم، ونصروا أهدافه السامية وأضاءوا له طريق الحضارة التي تحفظ الإنسانية، وتضمن قيم العدالة بين الناس جميعا .... فلنجعل هذه الذكرى ملتقى يوحد أبناء هذا الوطن .

الدكتور محمود قول آغاسي